

موقفهم من القبائل تبعاً له ، وإلى هذا الحد يعتبر موقفهم صحيحاً بالنسبة لظروفهم واجتهادهم .

لكن الأخذ بهذا المبدأ قد داخله ما أساء إليه من حيث الفهم وأسلوب الدراسة ونتائجها .

فالنحاة العرب جهدوا في الحصول على نموذج نقي للفصحى ، وفهموا أن هذا النموذج يتحقق في نطق القبائل التي لم تختلط بالأجانب ، ولهم ذلك ، لكن الانصراف بعد ذلك عن دراسة لغات القبائل الأخرى لا مسوغ له فقد كان من حق لغات هذه القبائل أيضاً أن تروى وتدرس ، لمعرفة تأثير هذا الاختلاط ومداه ، وكان هذا المسلك مفيداً بالنسبة لما وجهوا اهتمامهم له من الفصحى المثالية في نظرهم ، إذ تنبأ كد دراستهم لها بمعرفة ما داخل غيرها من عناصر اللغات الأخرى ومدى تأثيرها على نطق القبائل التي تعرضت للاختلاط ، فالربط بين العزلة والاختلاط والأخذ والترك قصر بدراسة النحاة عن الإحاطة الشاملة بما كانت عليه اللغة العربية بين كل القبائل في عصرهم .

فأساس العزلة والاختلاط ، كان دافع الأخذ به ظروف النحاة والفصحى كما تنطق في الحضر ، ولو استخدم هذا المبدأ في اختيار نماذج من نصوص الفصحى التي لم يفسدها الاختلاط — سواء أكانت تلك النصوص من الحضر أم البادية — ثم درست بمنهج صحيح دقيق ، لأفادت الفصحى من ذلك أجل فائدة . ولم يكن ثمة ما يدعو إلى الانصراف عن دراسة لهجات القبائل العربية في بيئاتها المختلفة أيضاً .

أما نقل هذا المبدأ من مجاله إلى مجال آخر ، باستخدامه في اللهجات ثم التفرقة بين ما يؤخذ وما يترك منها باعتباره ، وخطأ ما أخذ عن هذه